

المجلد 09/ العدد 02/ ديسمبر (2025)، ص.ص. 148-156

الحقيقي والمتخيل في الرواية الجزائرية المعاصرة

Real and imagined in the contemporary Algerian novel

د. بلحاج كريمة

karima.belhadj@univ-tissemsilt.dz

جامعة تيسمسيلت أحمد بن يحيى الونشريسي
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2024/09/27

تاريخ الاستلام: 2025/07/02

ملخص:

تترعرع الرواية على عرش الأشكال التعبيرية التي تتجسد فيها الذات الإنسانية، بكل ما تحمله من واقع معيش، وتصورات أيديولوجية، وميراث حضاري. ومن المعلوم أن أي عمل روائي يتأسس في بنائه على عناصر محممة تُشكله وتبلوره في قالب فني وجالي، وهذه العناصر هي: الشخصية، والزمان، والمكان، والحبكة التي تربط جميع هذه العناصر، وتنفرد بخاصية التخيل في تشكيل النص الروائي. وتُشكل الشخصية عنصراً بالغ الأهمية والصعوبة في تكوينها، سواء كانت خيالية أم حقيقية. ولعل الأخيرة هي الأصعب في توظيفها، وتقصد هنا على وجه التحديد؛ الشخصية التاريخية التي تضعنا أمام الطرح التالي: كيف تتجلى جدلية كل من الحقيقة التاريخية (الوقائع الثابتة والموثقة للشخصية) والمتخيل السردى (الإبداع الروائي والتحليل النفسي والجالي) في تشكيل الشخصية التاريخية داخل الرواية الجزائرية المعاصرة؟ وما هي الحدود الفاصلة بينهما؟

كلمات مفتاحية: الأدب، التاريخ، الرواية التاريخية، الشخصية التاريخية، الحقيقي والمتخيل.

Abstract:

The novel is paramount among expressive forms, embodying the human self with its lived reality, ideologies, and civilizational heritage. Its construction rests upon crucial elements—character, time, place, and plot—unified by the unique property of fictionalization. The historical character presents a specific challenge:

How is the dialectic between historical truth (documented facts) and narrative imagination (creative analysis) manifested in shaping the historical character within the contemporary Algerian novel, and what are the boundaries between them?

Keywords: Literature; History; Historical Novel; Historical Personality; The Real and the Imaginary .

1. مقدمة :

لا يمكن بأي شكل من الأشكال نفي تلك العلاقة التكاملية بين الأدب والتاريخ، فكل منهما يكمل الآخر فالأدب يضع التاريخ مادته، ويعطيه من جبالياته، ما يجعله مادة سلسلة كما أن التاريخ، يعرض الأدب بكل ألوانه، وأجناسه متبعا كل التطورات التي تمته، من كتابات شعرية، وألوان نثرية... والعنصر المشترك في هذه العلاقة، الإنسان هو المادة الأساسية الجامعة، بين الأدب والتاريخ.

ولعل هذه العلاقة، قد تطرح بعض الإشكالات، وأهمها استثمار الأدب خاصة في النصوص السردية للتاريخ فالبعض، نجده يميل إلى توظيف التاريخ توظيفا حقيقيا، بعبارة أخرى، توظيفا أكاديميا، مبني على حقائق ثابتة والبعض يرى بضرورة التغيير، أو توظيف الخيال في التعامل مع الأحداث التاريخية، وبشكل أساسي الشخصية، محور العمل

السردية . وهو ما يجعلنا نتساءل عن مدى حرية الروائي الإبداعية في تعامله مع التاريخ وشخصياته ؟ وهل التخيل إضافة فنية ، أو تشويه للحقائق ؟

هذه الإشكاليات وغيرها مما يمكن طرحه خلال هذا التناول تحيلنا إلى البحث في الانتاج الروائي الجزائري خاصة الروايات التي جعلت من التاريخ وشخصياته مرجعية لها وقبل ذلك لابد وأن نشير إلى ما يتعلق بمفهوم الشخصية التاريخية حتى نستوضح الطريق .

2. الشخصية التاريخية:

تعتبر الشخصية، إحدى العناصر الفنية الهامة في بناء النص السردية، ويختلف النقاد في تحديد مفهومها فالبعض يعتبرها مستندا ضعيف الفعالية، إلا بقدر ماهي فاعلة. والبعض الآخر يعتبرها نقطة تركز تلتف حولها الأحداث والمواقف، وتستقطب عناصر السرد وتقتصم مختلف الأنوية المشكلة لنسيج القص.¹ لكنها في كلتا الحالتين عنصر أساسي في بناء النسيج الروائي، سواء كانت الشخصية (رئيسية أو ثانوية)، بحسب فاعليتها، أو باعتبارها البؤرة التي تسير الحدث الروائي.

وفي تعريف آخر لها، نجد ليفي شتراوس Claude Lévi-Strauss ، يعتبرها كتلة من العناصر المرجعية تحيلنا على خلفيات النص المتعددة، أما تودوروف Todorov، يرى بأنها شكل أجوف تملؤه المساند predcats المختلفة كالأفعال والنوع² أما الشخصيات التاريخية في الرواية، فيميز النقاد ظهورها في الرواية بين ثلاثة أشكال، وهي الاستدعاء بالاسم الاستدعاء بأقوال الشخصيات التاريخية، والاستدعاء بالفعل³ فالرواية التاريخية، على مستوى شخصياتها توظف نوعين من الشخصيات:

الأول: شخصيات تاريخية صرفة، عاشت حقا، وأثبتها التاريخ على نحو معين.

الثاني: شخصيات تاريخية متخيلة، يفترض الروائي أنها كانت موجودة.

والنوع الأول يشكل عبئا على الروائي، أما الثاني، فهو متعة الروائي وإغناؤه من التبعة التي تفرضها شخصيات النوع الأول.⁴ فالنوع الأول شخصياته مثبتة، يجد الكاتب صعوبة في التعامل معها، أما النوع الثاني، فالكاتب يتخلص من قيود التاريخ، فيلعب الخيال دوره بكل أريحية.

لقد شكلت الشخصية التاريخية أمام الروائي، تحديا كبيرا في توظيفها، فهي كما أشرنا سابقا تشكل عبئا عليه لذلك نجد العديد من الروائيين في تعاملهم مع هذه الشخصيات يتكرونها غير ما طريقة فنجدهم مرة يحولونها إلى شخصية ثانوية، لم تساهم في الحدث المباشر، بل يظهر دورها بمثابة انعكاس على تصرفات الشخصيات المتخيلة. أو كسر القفل التاريخي المؤدي إلى الشخصيات الحقيقية، فيغفل دورها (فلا يعطيها مجالا حرا للتحرك ويتجاهل كثيرا من تصرفاتها) يأخذ مسبق من التاريخ نفسه، شرط ألا يغير من حقائقه التي أثبتتها، فيدخل الروائي إلى الشق المفترض والمتخيل لهذه الشخصيات (محاولا الكشف عن سرائرها آنذاك وعلاقتها مع الآخرين، الحوار الذي ينشأ بينه وبين المقربين ..) وهكذا يحقق الروائي مكسبين التخلص من الأسر التسجيلي الوثائقي، وإزالة النقاب عن ذلك الجانب المستتر في حياة تلك الشخصيات⁵ قد تكون عملية سد الفراغ إن صح التعبير وسيلة للتخلص مما تفرضه طبيعة الشخصية التاريخية في الواقع لكنها تفتح المجال للكثير من الانتقادات والردود العنيفة، التي تكبح العمل الفني.

وهنا نستحضر قول واسيني الأعرج: "من هنا يبدو أن أول رهاق كاتب الرواية التاريخية أن يسيطر على مواصفات شخصياته التاريخية والاقتراب منها بشكل أعمق يتجاوز المظاهر الخارجية فقط، ويسيطر أيضاً على مساحات عمله مجدية وارتداء قناع المؤرخ. في الوقت نفسه لا ينسى أنه يعمل على رواية ويشتغل في تفاصيلها، وليس بصدد عمل تاريخي"⁶ وهذا إقرار من أبرز كتاب الرواية التاريخية عن صعوبة العمل مع التاريخ وشخصياته.

وهذا ما دفع بعض الدارسين إلى العمل على الكشف عن بعض أساليب أو أشكال التعامل مع الشخصية التاريخية، من بينهم؛ فضال الشامي، حيث يرى أن هناك ثلاثة أشكال في التعامل معها، على اعتبار أنها مرهقة لكتاب الرواية بشكل عام، وكاتب الرواية التاريخية بشكل خاص فهي كما يصرح بذلك تدخل إلى العمل بحقيبة ملابس جاهزة، لا يمكن إبعادها عنها⁷ وهذه الأشكال هي:

1.2 : الشخصية التاريخية المقلدة في الحدث: يعدّ هذا النوع من الشخصيات أصعب ما يواجه الروائي، فعليه أن يكون محيطا بجميع الحوادث التاريخية التي ساهمت في بناء الشخصية إضافة إلى اللغة التي يجب أن يتحدث بها

فلا يمكن أن ينقل كل أحاديث الشخصية من المراجع التاريخية..⁸ مثال ذلك واسيني الأعرج وجد نفسه أمام تحد كبير في روايته الأمير وقد عرضته هذه الرواية إلى الكثير من الانتقادات خاصة ما جاء على لسان حفيده الأمير عبد القادر متهمة الأعرج بالتزوير وتزييف الحقائق، وما كان عليه إلا أن يقول: "الأدب الذي لا يخلق مشاكل ليس أدبا"⁹ في حين يمكننا القول، أن مشاكل العصر تدفع الكثير من كتاب الرواية إلى الاستعانة بأنماط مختلفة لطرح قضاياهم إما تقنية العودة إلى الماضي عبر استحضار شخصيات تراثية، أو التكهن وبناء شخصيات خيالية من المستقبل مثل ما تمثله روايات الخيال العلمي

2.2 : الشخصية التاريخية المقصدة عن الحدث: هذا النوع يكثر تجاذبه في الروايات التاريخية وغير التاريخية، هذا النوع من الشخصيات هو إطار في العمل الروائي، تدور الأحداث من خلاله، ولكنه لا يشارك فيها مباشرة لاعتبار أو لآخر وقد يكون سبب ذلك عدم الرغبة في التورط بما لم يكتبه التاريخ.¹⁰ فلا يمكن التكهن بالتفاصيل الدقيقة للشخصية التاريخية، ولا بما تقوله بعيدا عن ما دونه التاريخ.

4.2: الشخصية التاريخية المتخيّلة: يجد الكاتب نفسه ملزما بإكمال عمله الروائي، عبر استحضار شخصيات متخيّلة، لا تحددها مرجعية ولا تقيدها نصوص تاريخية، يعتمد الكاتب فيها إلى إسناد أقوال وأفعال وهمة لشخصيات تاريخية، أو العكس بإسناد أعمال تاريخية لشخصيات وهمية.¹¹ وعادة ما يبغى الكاتب من خلال هذه الشخصيات المتخيّلة تثبيت ما يسرده وهو من خلال ذلك يعكس رؤية خاصة به.

3. استحضار الشخصيات التاريخية في الرواية الجزائرية:

لا تختلف الرواية الجزائرية، عن نظيرتها العربية، فلم تكن بمنأى عن التطورات والتحولت التي طرأت على أشكالها ومواضيعها، خاصة ما تعلق بالرواية التاريخية التي لم تظهر إلا مؤخرا حيث أن " تراث الجزائر ما قبل الإسلام أو الفترة الأخيرة من الاستعمار لم يطرح بالمرّة فلم يسمع أحدهم عن طاكفاناس، أو يوغرطا، أو بوعامة أو ثورة الرعاشة...إلا مؤخرا فيما يسمى بإعادة كتابة تاريخ الجزائر"¹² وفي هذه الإعادة، رغبة شديدة في إثبات الهوية الجزائرية واستقراءها عبر تناول أبرز شخصياتها التاريخية، منذ عصور سالفة.

وما فتئت الكتابة الروائية التاريخية بالذات في الانتشار والتوسع، خاصة جيل الثمانينات وهذا ما أشار إليه محمد ساري، حيث علّق على كتابين للطيب تيزيني " مشروع رؤية جديدة في الفكر العربي الوسيط " و " من التراث إلى الثورة " و أثرهما في التأسيس، إلى معرفة موضوعية لتراثنا الإسلامي...هكذا عدنا نسجع عن ثورة القرامطة، كأول محاولة لبناء المجتمع الاشتراكي في العالم العربي، وعن بطلها حمدان قرمط، والحسين الأهوازي الداعية القرمطي الثوري الذي قاد الحركة الثورية في الريف، والمتنوع للرواية الجزائرية، يدرك أنها أسبق إلى توظيف هذه الرموز، لكونها ظهرت متأخرة عن الشعر"¹³. وقد انعكس هذا في الكثير من الروايات من مثل رواية عرس بغل للطاهر وطار.

1.3. ألف وعام من الحنين:

من كتاب الرواية المثيرين للجدل رشيد بوجدر، ففي روايته " ألف عام من الحنين " والتي اختيرت كأفضل مئة رواية عربية رغم أنه كتبها باللغة الفرنسية، وهي رواية تاريخية خيالية يتماهى الخيال فيها مع التاريخ_مستحضرا التاريخي الإسلامي، في العصر الحديث، طبعت أول مرة سنة 1979م والطبعة الثانية صدرت سنة 1984م، في هذه الرواية استطاع بوجدر أن يجمع بين السرد التاريخي الواقعي وبين المتخيل الروائي، ولا يكاد جزء من هذه الشائبة ينفصل عن الآخر، مستدعيا بذلك الماضي في مسألة للحاضر، لقد عمد رشيد بوجدر إلى ذكر العديد من الأساء التاريخية الإسلامية، وحتى أن عنوان الرواية فيه تناس مع ألف ليلة وليلة، ولعلّ في هذا نوع من الاعتزاز بحضارة بدأت تطمس معالمها بما جاءت به حضارة الغرب وفكر العولمة.

عرج رشيد بوجدر إلى الكثير من الأحداث والأساء التاريخية، و من بينها رحلة فاسكو دي جاما « ففي القرن التاسع، بلغ فاسكو دي غاما الهند عن طريق رأس الرجاء الصالح كرد فعل لإسبانيا والبرتغال على سقوط الأندلس وإدخال أوربا في العالم الإسلامي، وبدء السيطرة عليه، وكما كان ذلك أول حركة تطوّر العالم الاسلامي...»¹⁴ كما وظّف الأساء التاريخية في روايته، توظيفا خياليا بعيدا عن الواقع، فمثلا شخصية مسعودة زوجة محمد عديم القلب بطل الرواية، لقت فيما بعد بشجرة الدر، فقد صوّرها بوجدر على أنها شخصية توثق التاريخ روائيا، بما كانت ترويه من

أخبار المسلمين الحجاج بن يوسف المعتصم بالله، ثورة الزنوج أبو العباس السفاح سفيان بن معاوية.. وما جاء في حديثه عن شجرة الدر « كانت شجرة الدر كل دواعي الاعتزاز فبالها الأسطوري راح يحدث خرابا في عقول الرجال المضطربة»¹⁵ شجرة الدر بالنسبة لرشيد بوجدره هي الملكة الفخر، على عكس ملكة الفراعنة كليوباترا.

كما ذكر الكاتب في الصفحات الأولى العلامة ابن خلدون « كان عديم اللقب يعاني من اللامبالاة التي يقابل بها أهل المنامة بتنقيباته عن المكان المحدد حيث وجدت الدار التي كتب فيها ابن خلدون جزءا من مقدمته وسيرته الذاتية الكاملة..»¹⁶ ، ولم يخفي الكاتب إعجابه بالجاحظ كأحد أهم علماء اللغة والبلاغة في عصره والذي طاله التهميش فيما بعد بحسب ما جاء في الرواية « حتى الجاحظ العجوز الذي مات سنة 252هـ، ألقى الآخر في مزابل التاريخ هذا عدا أحمد بن ماجه ذلك الرّبان الذي خوض في البحر العريض»¹⁷ وهنا نلمس تلك الحسرة التي شعر بها الروائي، لما طال هذه الأسماء من إقصاء مع مرور الوقت.

لكن علينا أن نشير كذلك إلى نقطة أخرى، يمكن أن تطرح نوعا من الجدل، وهي الشخصية الرئيسة للرواية **محمد عديم اللقب** لماذا اختار الروائي هذا الاسم؟ ولما جعله بدون لقب؟ قد يترأى للبعض، فكرة إلحاد رشيد بوجدره والتي تبقى أمرا مشكوكا فيه، وقد تطرح الفكرة أمرا آخر هو العصر الذي نعيشه حيث غابت هوية الانسان العربي والمسلم بالتحديد.

ورأى بعض البارسين أن رشيد بوجدره أعطى صبغة خاصة لروايته مما جعل خصوصيتها تكمن في كونها رواية بأبعاد مجاذبية موعلة في الإغراب فضلا عن كونها رواية تجعل الخيال ملتجئا مع الواقع، التحاما يصعب تفريق أحدهما عن الآخر، ويتجسد التاريخ بمظاهر تحمل أبعاد علائقية بالحاضر، من خلال استثمار معطيات التاريخ الإسلامي وإسقاطها على الحاضر، فتتمكن من فهم الراهن في ضوء التاريخ أو العكس¹⁸ لقد كان عنصر التخيل في رواية بوجدره، هو ما ساعده في تقمص روح المؤرخ، حتى يستطيع إيجاد سبل فك شيفرة الحاضر الغائب عن ماضيه.

إنّ ما لمسناه في تغيير رشيد بوجدره للتاريخ، والتصرف في شخصياته التراثية، وهو ما دفعنا للتساؤل، إن كان هذا التغيير يفقد النص جماليته من خلال تعرية هذه الشخصيات من حقيقتها التاريخية؟ جعلنا نوقن بأنّ مسعى كتاب الرواية الجزائرية بصفة عامة، من خلال استخدام هذه الرموز التاريخية لم يتعد عن كونه مجرد خلق لشخصيات وهمية بأساء حقيقية للتعبير عن ثوراتهم الداخلية، ضد الظلم والاستغلال، في رغبة جامحة للإثبات الهوية، الهوية الوطنية والقومية، من خلال استحضار شخوص تراثية إسلامية وكذا ثورية محاولة منهم لمحوورة الحاضر، وكشف خبايا المستقبل، وإثباتا لاستمرارية الثورة، ثورة الفكر وثورة الكلمة.

3.2. رواية كولاج أحمد عبد الكريم :

مواصلة لتتبع فنيات استحضار الشخصيات التاريخية في الرواية الجزائرية المعاصرة تطالعنا رواية "كولاج"

لأحمد عبد كريم*، فمن العنوان فقط يمكن أن نفهم أن الروائي قام بعملية دمج بين الحقيقة التاريخية والخيال السردى، بين الماضي البعيد، والحاضر، فالكولاج كما هو معروف « هو تصميم أو صورة تتكون من لصق مختلف الخامات مثل الورق والجرائد والمطبوعات والصور الفوتوغرافية والقماش والخيط...على سطح مستوي، وقد يتكون شكل أو عمل فني ثلاثي الأبعاد أحيانا يطلق عليه الريليف أو تكوينات أو أسمبلاج ومصطلح الكولاج يشير إلى التقنية التي يتألف ويتداخل فيها الخامات المختلفة مع الأجزاء الملونة»¹⁹ وهو ما اعتمدته الروائي كما ذكرنا سابقا في بناءه السردى.

بؤرة الرواية تستند إلى حادثة سرقة مخطوط هدية بين المسلمين والمسيحيين للخطاط المشهور ابن مقلة من متحف آيا صوفيا بإسطنبول، بطل الرواية علي الجنوي الفنان التشكيلي، الذي وجد نفسه أمام الضابط محمود للتحقيق بشأن سرقة اللوحة، الأحداث تعددت أمكنتها بين الجزائر وفرنسا والعراق، وتنوعت شخصياتها، لكن الشخصية الحقيقية المحركة لهذا العمل هي شخصية ابن مقلة التي استحضرها الروائي من خلال السرد الفني الذي أبدعه فهو معروف بكونه خطاط، لكن النسخة المسروقة ما كانت سوى نسخة مزورة كانت تستعمل لجلب السياح.

نأتي إلى شخصية ابن مقلة، الوزير الكبير أبو علي محمد بن علي بن حسن بن مقلة. ولد بعد سنة سبعين ومائتين، كان من أشهر خطّاطي العصر العبّاسي، وأوّل من وضع أسس مكتوبة للخطّ العربي، وهو كذلك وزير وأديب وشاعر.²⁰ وقد حدثت مع مأساة بعد أن قطعت يده اليمنى، ثم قطع لسانه إلى أن توفي، هذه التراجم وطفها أحمد بن عبد الكريم بشكل رمزي « تذكرت مشهد قطع يد الوزير الخطاط أبي علي ابن مقلة، ورميها في نهر دجلة يد

التي أبدع بها من روائع الخط، وقد قال عنها للطبيب ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاث خلفاء وكتبت بها القرآن دفعتين، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص؟²¹ في هذه الرواية الشخصية تاريخية مفقولة، تتجاوز البعد التعليمي إلى البعد الرمزي، ترسم هذه الشخصية ثلاث عناصر مهمة:

- الإبداع الفني: فابن مقلة خطاط مبدع يعتبر أول من وضع قواعد خط النسخ، والثالث.
- البعد السياسي للشخصية: فقد تداول ابن مقلة منصب الوزارة وتعرض بذلك للكثير من الأزمات.
- النهاية التراجيدية: والتي كانت بقطع يده اليمنى ثم لسانه ثم السجن والموت بمرض نادر.

هذه العناصر الثلاث أسقطها الروائي وفق متخيله السردى، فعكست شخصية ابن مقلة مقطوع اليد، محنة الفن في الجزائر وأزمة الإبداع تحت سطوة السياسة. كما توضح كذلك فكرة المقاومة والثبات أمام صراع الهوية، ففن الخط العربي بقي صامدا لقرون طويلة ولا يزال كذلك وهو جزء لا يتجزأ من هويتنا العربية، وما تركه ابن مقلة أكبر دليل على ذلك فقد تحدث آثاره الزمن وبقيت خالدة.

والتراجيديا التي عكسها الروائي، هي أزمة الفنان المعاصر التي تحيط به الكثير من التقلبات السياسية، والتي تجعله مغمشا في الكثير من الأحيان، الأزمة هي أزمة علي الجنوي الرسام التشكيلي، وعابد الجيلاني المهوس بالسبينا والأفلام... وهذه الشخصية كذلك استحضرت من خلالها أحمد عبد الكريم شخصيات بارزة في التاريخ الإسلامي وعند الصوفية بالتحديد، فعابد الجيلاني اسم أخذ تيمنا بالولي الصالح ورمز الصوفية الشهير «عبد القادر الجيلاني دفن ببغداد وصاحب المقام والصرح المشهور»²² أبرز الكاتب من خلال شخصية «الجيلاني عابد» اهتمامه بالجانب الصوفي وقد اعتمد في بعض المقاطع من الرواية على السرد التقريرى فيما يتعلق بهذه الشخصيات، فمثلا تحدث عن الولي الصالح الغوث أبي مدين بتلمسان قائلا: «كان أبو مدين ممن خاضوا معركة حطين كجندي في جيش صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين عام 583هـ الموافق لـ4 جويلية 1187م، وبها قطعت ذراعه ودفنت بيت المقدس وصارت زاوية تزار...»²³ وفي مقطع آخر يقول: «في رحلته الوحيدة إلى البقاع المقدسة التقى الشيخ عبد القادر الجيلاني الغوث أبي مدين شعيب، فلبسه الخرقه ولقّنه الاسم الأعظم وكان الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي يسميه شيخ الشيوخ ويقرّ له بمقام القطبية»²⁴ إن هذا الاستحضار للشخصيات التاريخية في الرواية لم يخرج عن مجرد السرد التاريخي الواقعي وغابت إلى حد بعيد فنيات التخيل السردى في الكثير من الأحيان.

في مفارقة أخرى يحاول أن يعكسها الروائي، رمزية اليد المقطوعة، فابن مقلة قطعت يده، وكذلك نجد عابد الجيلاني مرتبط باليد المبتورة، فوالده كانت يده مقطوعة لذلك أطلق عليه لقب: «مانشو..هل تقصد أن الجيلاني عابد قد يكون لديه نوع من الهوس بمقطوعي الأيدي»²⁵ كما عمل أحمد عبد الكريم على خلق علاقة خيالية بين والد الجيلاني والرسام محمد إسيّاخ، حضور هذه الشخصية كان مفتعلا فقد ارتبط كلاهما باليد المقطوعة «كان يلاعبه على "البابي فوت" في نادي المدرسة فيزومه بيده الوحيدة. مع نهاية كل جولة كان إسيّاخ يرفع ذراعه اليسرى المقطوعة كعلامة انتصار»²⁶ إسيّاخ يشكل روح ابن مقلة التي انتقلت عبر الزمن لتعبر عن مأساته، والتي تكرر يوم قام إسيّاخ بسرقة مجموعة قنابل أخذ واحدة منها للمنزل لتتسبب في تراجيديا حقيقية بوفاة أخته وابن اخته وقطع يده، لتنتقل معه هذه الأزمة إلى رسوماته «أنا أعتبر الرسم أكبر صدمة في حياتي، قد تكون أفضع من الصدمة التي أدت إلى بتر ذراعي»²⁷ ابن مقلة أنهت التقلبات السياسية حياته بشكل مأساوي، إسيّاخ والدته كانت سبب عزله واحساسه بالألم بعد أن تنكرت له وطردته بسبب الفاجعة التي تسبب فيها. هذه الشخصيات التي وظّفها عبد الكريم تشكل نقدا مبطنا للواقع المعاش فالواقع السياسي الذي نعيشه همّش الكثير من أبناء هذا الوطن، والروائي في هذا العمل حينما يتحدث إنما يعكس أزمة المبدعين في مختلف مجالاتهم الفنية وما يواجهونه من إقصاء.

بالرغم من خلق الروائي لبعض الحوارات المتخيلة وتصوير بعض الأحداث، خاصة حادثة قطع اليد التي عمد إلى رسم تفاصيل لحظات التعذيب فيها، والكشف عن الجانب النفسى المؤلم الذي عاشه الخطاط ابن مقلة. إلا أننا نلمس بعضا من الضعف في عنصر التخيل وحبالية الكتابة الروائية. ويمكن أن نستشهد كذلك ببعض آراء الدارسين لهذه الرواية من مثل ما جاء على لسان الكاتب جايلى العياشي حيث قال: «إن ما تفضل به الكاتب من تقديم حول الخطاط بن مقلة، كان جانباً معرفياً يجهله الكثيرون، لو أنه أكنفى بتناوله ضمن السياق السردى لكان أجمل، لكن

باتباعه هذه الطريقة، يكون قد أحدث عطبا فنيا في جسد النص، مما أدى إلى تقطيع في وتيرة الحبل السردى، و إفساد عنصر التشويق، وجعل النص يفقد نكهته، الأدبية، وهذا يعتبر إخفاقا في طريقة التناول و التوظيف»²⁸ ويستشهد هنا بالخلل المعرفي الذي وقع فيه الروائي فني قوله: « باختصار شديد هناك أثر فني اختفى، أو لنقل سرق من متحف آيا صوفيا بمدينة اسطنبول، هو عبارة عن نسخة أصلية من معاهدة تمت بين البيزنطيين و العرب المسلمين في العصر العباسي، و قد كتبها خطاط مشهور يسمى بن مقالة...»²⁹ في حين ورد في صفحات أخرى ما يلي: « اسم الأثر الفني كتاب هدنة بين العرب و الروم " خط عربي"، تاريخ إنجازها: الفترة ما بين 883. 940 هـ، أنجزه أبو علي بن مقالة، تاريخ السرقة بين 14 - 20 أبريل 2010، سرق من متحف اسطنبول بتركيا»³⁰ ولهذا يقول العياشي: « عندما نقارن نجد أن الهدنة في الصفحة 18 تمت بين العرب و البيزنطيين، و في الصفحة 22 ما بعدها تمت الهدنة ما بين الروم و العرب. نستنتج من التقديم حول ابن مقالة، و من التباين في وصف طرفي الهدنة، أن الكاتب قد أخفق في طريقة التناول و في التوظيف المعرفي»³¹ توظيف التاريخ والشخصيات المرجعية فيه يستلزم إماما بكل الأحداث التي جرت وتدقيقا في كل تفاصيلها مع التركيز على جوانب عديدة للشخصية التاريخية لا في علاقتها بالحدث التاريخي بل في كل تفاصيلها المعيشية.

كما يضيف العياشي قائلا: « إن من يقرأ رواية كولايج - الحائزة على جائزة الجزائر تقرأ - يجد نفسه أمام تحقيق صحفي، فاقده لكل المقومات الجمالية للنص الأدبي، وهذا يعني أن النص جاء خاليا من الصور المرتبطة بالخيال الفني الإبداعي، الذي يتجاوز حسية الاصطناع على خاصية التجريد، و التي يقوم عليها المتخيل وما يحمله في فضائه الدلالي الداخلي، ومن هنا نستخلص أن المتخيل هو الكتابة والنص و الفضاء في آن واحد، و التأرجح بين الواقع و الممكن، و المراوحة بين الواقعي و المفترض»³². إن تناول الشخصية التاريخية بهذا الأسلوب التقريرى يقتل -إن صح التعبير- جمالية المتخيل السردى، فالروائي ليس مؤرخا ولا صحفيا، إنما هو فنان مبدع مسؤوليته أن يقدم حقيقة فنية و صدقا عاطفيا عن الشخصية، ولو كان مضطرا إلى تغيير بعض الجريات والأحداث وحتى الشخصيات.

3.3. رواية أسير الشمس حميد عبد القادر:

نأتي إلى عمل سردى آخر كانت الشخصيات التاريخية حاضرة فيه بقوة، وهو رواية أسير الشمس لحميد عبد القادر، تحكي الرواية عن رحلة أوجين ديلاكروا Eugène Delacroix سنة 1832، رفقة الكونت دي مورناي Charles Edgar de Mornay إلى المغرب وذلك لمقابلة ملكها، لدراسة مستجدات احتلال الجزائر، و الرواية صادرة عن دار ميم للنشر والتوزيع، تروي شكلا آخر من الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد عمدت فرنسا إلى استغلال الفنانين والأدباء لتشجيع فكرة الاستيطان، وأبرز مثال على ذلك رحلة ديلاكروا وشغفه بالجزائر، فرسم لوحة فنية بعنوان "نساء الجزائر في مخدعهن" الرائي لها لا يرى فيها سوى لوحة فنية فريدة من نوعها، لكن المتأمل فيها بشكل دقيق، والعارف كذلك قبل كل شيء لصعوبة دخول الحرم الجزائري، ليرسم بذلك الشكل، يدرك تمام الإدراك أن اللوحة، شكل آخر من أشكال الكولونيالية، التي سعت فرنسا من خلالها، بكل محمد فرض سلطتها على جميع النواحي الثقافية والعسكرية، وتعزيز شهوة الرحلة نحو الشرق.

شخصية ديلاكروا شخصية تاريخية مُتخيَّلة، له مرجعية ثابتة وهي قصة رحلته إلى شمال إفريقيا، أولا المغرب ثم الجزائر، أضاف عبد الحميد عبد القادر لهذه الشخصية ومن رافقها الكثير من الحوارات مركزا على تصوير الجوانب النفسية لهذه الشخصيات، وكل الأحداث التي تم سردها في الرواية هي متخيَّلة، حاول الكاتب من خلالها تسليط الضوء على شخصية الفنان ديلاكروا باعتباره مستشرقاً حاول البحث عن جمال الشرق من خلال لوحاته الفنية التي كان يرسمها. كما أعطى حميد عبد القادر لشخصية الرسام بعدها المابعد كولونيالي من خلال تصويرها وفق منظور جزائري. ما نركز عليه في هذا العمل هو لحظة رسم اللوحة والحوارات التي تحتلها حميد عبد القادر، فالمشهد الذي يخاطب فيه بلانشر ديلاكروا قائلا: " سوف ترسم ما بداخل الحرم... أجساد النساء المكتنزة المغربية الطائفة الطرية وتحت الناس على اشتهاها وتحبي فيهم الرغبة في امتلاكها، فمن اشتبهى جسد امرأة سوف يأتي حتما إلى هنا يخدم الأرض ويستمتع بالنساء، سوف تجعل هذه الأرض مغرية" ³³ حوار الشهوة والرغبة كان طاع في المتن السردى، كما كان طاع في المتن التشكيلي، لقد جاءت الرواية كترجمة عن المسكوت عنه والمضمر داخل خطوط اللوحة. وما فتئ أن أفصح الرسام عن رغبته الحقيقية، فهو لم يكن مبهورا بالشرق وجماله، إنما جاء غازيا له " صراحة أنا أفتق معك تماما،

وقد جئت إلى أجلي لهذا الغرض بالذات³⁴ وهذا ما ركّز عليه الروائي مبرزاً بذلك خطاب الاستشراق الفني الذي سعت إليه فرنسا لدعم وجودها في الجزائر والتشجيع على الهجرة إليها.

أما عن الرسام أوجين فقد كان يردد أثناء رسمه "سأجعل الألم ظاهراً، لن يفوت العين، ألم يبرز بوضوح على ملامح النساء، أريد إظهار الحزن على وجوههن، قبل جمالهن... فالحزن يخلق الرأفة...الرأفة على حال هذا الشرق البائس، أريد إظهار سر مأساوي في عمق أعينهن، حتى يتحرك مواطنونا، ويأتوا إلى هذه الأمكنة البعيدة، فاتحين لتحريرهن من جبروت الرجل الشرقي"³⁵ لقد كان الآخر يرى في الحرّيم سجناً لحرية المرأة وأن ما يقوم به هو تحرير لها من جبروت الرجل الشرقي، لقد استطاع حميد عبد القادر أن يصور لنا هذه الشخصية الفنية متميزة من خلال خلق هذه الحوارات المتعددة بين الصوت الداخلي للرسام والأصوات الخارجية للشخصيات الأخرى. والتي ساعدت في التخلص من أسلوب السرد التاريخي الجاف.

كما عمل على نقل حوار النسوة الثلاث بطلات اللوحة التشكيلية الشهيرة وهنّ، زهرة وموني، وخدوجة، اللواتي أجبرن على الامتثال لرغبة أوجين في رسمهن:

ردّدت زهرة تبوحي قائلة، وهي ترمق دولاكروا بنظرة قاسية:

- أشعر أنهم قتلوني ثانية، بعد أن قتلوا شقيقي بجامع كنتشاوة.

فردت عليها موني بن سلطان، وهي تستعد لمغادرة المحدث:

- أنا في الحمام، أريد التخلص من نجاسة نظرات هذا المشؤم.³⁶

في حين أن المرأة الثالثة، خدوجة بن سلطان، كانت تبحث عن الرجل، لتلقى عليه باللوم قائلة: "لقد سلمتنا للكفرة بمحض إرادتك." ثم تردف القول: "ما هكذا يتصرف الرجال"³⁷ لقد استطاع حميد عبد القادر من خلال شخصيات روايته التاريخية تفكيك الرؤية الاستشراقية الاستعمارية التي اتخذت من الفن والانهار بصورة الشرق ذريعة للاحتلال. كما استطاع أن ينقل من خلال تفكيك خطاب اللوحة تغيير الرؤية الإيروتيكية التي أخفت حقيقة فرنسا الغازية. وبالتالي إعادة كتابة التاريخ وفق منظور جزائري.

4. خاتمة:

إنّ الاشتغال على جالية توظيف الشخصية التاريخية في العمل السردى كقيل بتأليف العديد من الأطروحات وخلق العديد من التساؤلات، نظراً لما يحمله هذا الموضوع من مجالات عديدة للبحث والاستقصاء. والشخصية التاريخية في النصوص الروائية الجزائرية تصنع تحدياً كبيراً لكتاب الرواية، على اختلاف مرجعياتها وحضورها فهنام من الشخصيات من تحيط نفسها بهالة من القداسة، تجعل الراوي يقف أمامها عاجزاً متخوفاً من المساس بهذه القدسية خاصة وأنّ القارئ، يرفض في الكثير من الأحيان زعزعة هذه الشخصيات.

تعمل الشخصية التاريخية الموظفة توظيفاً فعلياً على تثبيت مصداقية النص وإعطائه نوعاً من الشرعية.

فك قيود الشخصية التاريخية من الواقع التاريخي يخدم الروائي على مستويات عديدة أولاً من الناحية الفنية، وثانياً من جانبه الأيديولوجي وهو ما نجده كثيراً في أعمال بوجدرّة طاهر وطار واسيني الأعرج.

تعمل الشخصيات التاريخية أحياناً على مستوى المتخيل السردى كوسيلة لمحاكاة التاريخ والحديث عن المسكوت عنه.

رشيد بوجدرّة في عام وألف من الحنين عمل على إزاحة القدسية عن الشخصية التاريخية، بغية فضح الصراعات الداخلية التي أغفلها التاريخ، أما في رواية كولاج لأحمد عبد الكريم، فقد عمل على تقنية الكولاج السردى بين السرد التقريرى والتخييل إلا أنه لم يوفق فيها إلى حد بعيد فقد غلب طابع السرد الرسمي عليها.

في حين أن رواية أسير الشمس قد حددت إطاراً زمنياً للاشتغال على النص المتخيل والذي أبرز من خلال حواراته صراع الذات في مواجهة الآخر بعبارة أخرى إثبات الهوية وإعادة كتابة الذاكرة الوطنية التي حاول ديلاكروا طمسها وتشويهها.

وقد لا نجانِب الصواب إن قلنا أنّ معظم الأعمال الروائية الجزائرية، لطاهر وطار رشيد بوجدرّة، واسيني الأعرج، و الأقلام الشابة التي جاءت فيما بعد كل هذه الأعمال استطاع كتابها أن يبلوروا أعمالهم الروائية في قالب

جمالي فني رائع، رغم كم الانتقادات التي وجهت إليهم، كونهم تصرفوا في التاريخ بشكل جزئي أو كلي، من خلال صياغة شخصياتهم وفق نمطهم التخيلي، الذي جعل الماضي طبعاً، لأفكارهم صالحاً لمعالجة حاضرهم، سعياً منهم لبناء مستقبلهم. وهم في ذلك يحاولون تحرير شخصياتهم التاريخية من النمطية الرسمية للسرد بالاشتغال على أسلوب الرمز كدالة للتعبير عن الايديولوجية وكشف المستور والمسكوت عنه وكسر كل الطابوهات التي تحد من حرية التعبير.

● قائمة الإحالات:

- ¹ ينظر، عبد القادر فيدوح، شعرية القص، 1996م، وهران، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 45
- ² ينظر، المرجع نفسه، ص 45
- ³ محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، 2004م، دط، دمشق، اتحاد كتاب العرب، ص 117
- ⁴ ينظر، نضال الشامي، الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية العربية، ص 129
- ⁵ ينظر، المرجع نفسه، ص 130-131.
- ⁶ واسيني الأعرج، 2018/10/25، ماضلات الشخصية التاريخية روئياً، <https://www.al-madina.com>
- ⁷ نضال الشامي، الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية العربية، ص 226.
- ⁸ ينظر، فاطمة الزهراء فنازي، جوان 2019م، الشخصية التاريخية في رواية حومة الطليان لأحمد حمدي، مجلة المقال، مجلة علمية دولية متخصصة محكمة نصف سنوية، تصدر عن كلية الآداب واللغات جامعة 12 أوت 1955، سكيكدة، المجلد 5، العدد 1، (29_44)، ص 31
- ⁹ نزار الفراوي، 2014/4/15، الأعرج: الرواية تحتفي بما يغفل التاريخ، <https://www.aljazeera.net/news/cultureandart>
- ¹⁰ المرجع السابق، نضال الشامي، الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية العربية، ص 230.
- ¹¹ ينظر، فاطمة الزهراء فنازي، جوان 2019م، الشخصية التاريخية في رواية حومة الطليان، ص 38.
- ¹² محمد ساري، البحث عن النقد الأدبي الجديد، 1994، ط1، الجزائر، دار الحداثة، ص 70
- ¹³ ينظر، المرجع نفسه، ص 71
- ¹⁴ رشيد بوجدر، ألف وعام من الحنين، تر: مرزاق بقطاش، 1984م، ط2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 150.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص 85
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص 10
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص 59.
- ¹⁸ ينظر، فتحي بوخالفة، رؤيا التاريخ في الرواية المغاربية الحديثة، مقارنة تطبيقية في التناس، الأثر مجلة الأدب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، مجلد 5، العدد 5، مارس 2006، (172_189)، ص 179.
- * أحمد عبد الكريم شاعر، روائي وكاتب جزائري مهتم بالنقد التشكيلي حاصل على جائزة (الجزائر تقرأ) عن روايته "كولاج". من إصداراته: عتبات المتاهة (رواية) عن منشورات رابطة كتاب الاختلاف 2008؛ كتاب الأعسر (سيرة) عن منشورات الجاحظية 1995؛ تغريبة النخلة الهاشمية (شعر) عن منشورات الجاحظية 1997؛ معراج السنونو (شعر) عن منشورات رابطة كتاب الاختلاف 2002؛ موعظة الجندب (شعر) عن منشورات دار أسامة 2008؛ اللون في القرآن والشعر (دراسة) عن منشورات البيت 2010.
- 19 مایسة فکری أحمد السيد، منى محمد أنور، داليا فكري جبال، محاصمت علي حمودة، تجارب الكولاج في التصميم الطباعي لأقمشة محملات ملايس السيدات،
- International Design Journal, Volume 11, Issue 1, September th 15 Paper received , 2020 November th52
- Accepted 12 20 January of st Published 1(165- 180) , p166.
- 20 وفاق صفوت مختار، شيخ الخطاطين العرب: ابن مقلة" تاريخ الاطلاع: 2025/10/08، 18.56، تاريخ النشر، 2024/04/22، <https://arrafid.ae/Article>
- 21 أحمد عبد الكريم، كولاج، الجزائر تقرأ، الجزائر، دط، 2028، ص 55
- 22 المرجع نفسه، ص 35
- 23 المرجع نفسه، ص 53
- 24 المرجع نفسه، ص 54
- 25 المرجع نفسه، ص 131
- 26 المرجع نفسه، ص 132.
- 27 المرجع نفسه، ص 133
- 28 جابلي العياشي، أزمة التناول و التوظيف في رواية كولاج للكاتب أحمد عبد الكريم، مجلة المسار العربي، تاريخ الاطلاع: 2025/10/09، 19.29، <https://elmassar-elarabi.dz>
- 29 أحمد عبد الكريم، كولاج، ص 18
- 30 المرجع نفسه، ص 22

- 31 جايلى العياشي، أزمة التناول و التوظيف في رواية كولاج للكاتب أحمد عبد الكريم.
32 المرجع نفسه.
33 حميد عبد القادر، أسير الشمس أيام أوجين دولاكروا في الجزائر، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2022م، ص 75.
34 المرجع نفسه، ص 76
35 المرجع نفسه، ص 97
36 المرجع نفسه، ص 100.
37 المرجع نفسه، ص 100_101.

● المصادر والمراجع:

1. أحمد عبد الكريم، كولاج، الجزائر، دط، 2018.
2. حميد عبد القادر، أسير الشمس أيام أوجين دولاكروا في الجزائر، دار ميم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2022م.
3. رشيد بوجدر، ألف وعام من الحنين، تر: مرزاق بقطاش، 1984م، ط2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،
4. عبد القادر فيدوح، شعرة القص، 1996م، وهران، ديوان المطبوعات الجامعية.
5. محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية، 2004م، دط، دمشق، اتحاد كتاب العرب.
6. محمد ساري، البحث عن النقد الأدبي الجديد، 1984، ط1، الجزائر، دار الحداثة
7. نضال الشبلي، الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب في الرواية العربية، دط، 2021، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن.

● المجلات العلمية:

1. فاطمة الزهراء فنازي، جوان 2019م، الشخصية التاريخية في رواية حومة الطليان لأحمد حمدي، مجلة المقال، مجلة علمية دولية متخصصة محكمة نصف سنوية، تصدر عن كلية الآداب واللغات جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، المجلد 5، العدد1، (29_44)
2. فتحي بوخالفة، 2006م، رؤيا التاريخ في الرواية المغاربية الحديثة، مقارنة تطبيقية في التناس، الأثر مجلة الأدب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، المجلد 5، العدد 5، (172_189).
3. مايسة فكري أحمد السيد، منى محمد أنور، داليا فكري جمال، مها عصمت علي حمودة، تجارب الكولاج في التصميم الطباعي لأقمشة محملات ملابس السيدات،

International Design Journal, Volume 11, Issue 1, September th 15 Paper received , 2020 November th52
Accepted 12 20 January of st Published 1(165- 180)

● المقالات الإلكترونية :

- وفيق صفوت مختار، شيخ الخطاطين العرب :ابن مقلة" تاريخ الاطلاع: 2025/10/08، 18.56، تاريخ النشر، 2024/04/22،
<https://arrafid.ae/Article>
جايلى العياشي، أزمة التناول و التوظيف في رواية كولاج للكاتب أحمد عبد الكريم، مجلة المسار العربي، تاريخ الاطلاع: 2025/10/09، 19.29،
<https://elmassar-alarabi.dz>
نزار الفراوي، 2014/4/15م، الأعرج: الرواية تحتفي بما يغفله التاريخ،
<https://www.aljazeera.net/news/cultureandar>
واسيني الأعرج، 2018/10/25م، معضلات الشخصية التاريخية روائياً،
<https://www.al-madina.com>